واعيش بعيداً عن الناس ولكنني اقول في نفسي لماذا يشتهر ابرهيم باشا ولريس فيليب وبامرستون هل هم ارفع مني نسباً وانا ابن شهاب . اين كان ابرهيم باشا والدربون وبامرستون لما كان جدي يحمل ببرق النبي

الفتاة — مهما يكن من امرك فقد فرغت جعبتي ولم يعد في طاقتي ان اساعدك في شيء

الامير — يمكنك ان تساعديني فاسمعي ما اقول لك . جاء القدس منذ عشرة ايام او حواليها امير انكليزي غني جداً حتى يقال انهُ اغنى من قارون ومعهُ مكاتيب توصية الى ايبك ليدفع اليهِ كل ما يطلبهُ منهُ . ولا احد يعلم غرض هذا الامير اما انا فارتاب في امرهِ . وفي القدس الآن ضابط فرنسوي من البارجة الراسية في بيروت اظنهُ جاء ليتجسس اعمال هذا الامير وقد بلغني اليوم ان الامير ذاهب الى جبل سينا وما هو غرضهُ من الذهاب الى هناك الله يعلم لان الانكليز لا يحجون مثل النصارى ولا مثل اليهود . ومرادي ان اوعز الى قبيلة من قبائل العرب لتأخذهُ اسيراً فتأخذ فديتهُ من ايبك وندفع ثمن البنادق وكل النفقات اللازمة لنقلها الى الجبل فما قولك في ذلك (البقية تأتي)

بلاغة العرب والافرنج

لحضرة الشاعر المجيد احمد افندي كامل

كتبت في مجلة المقتطف مقالة تحت هذا العنوان فانبرى للرد عليها اديبان فاضلان وهما خليل افندي ثابت والدكتور نقولا فياض وقد تأملت كلامهما واستخلصت منهُ هاتين المسألتين الآتيتين الجديرتين بالنقد والمباحثة والرد وهما

١ — ان التعريب يُذهب بهجة المعرَّب لان اللفظ ثوب المعنى يحسنهُ بحسنهِ ويقبحهُ بقبحهِ

٢ — ان شعر العرب محصور في ابواب محدودة يقل فيها الآخرُ الاول وانهُ بعيد عن الطبع

الجواب عن المسألة الاولى — انا جعلنا في مقالتنا السابقة اركان البلاغة ثلاثة اللفظ والمعنى والموضوع . ولا ننكر ان اللفظ قد يسقط عن مرتبتهِ بالترجمة بل ان هناك من ضروب التعبير والاستعارات اللفظية ما لا يمكن نقلهُ من لسان الى لسان مثال ذلك قولهُ تعالى " ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم " فان هذه الآية لما ترجمها مترجمو القرآن حرفياً أصبحت لديهم في معنى غير المقصود في العربية تماماً . وامثال ذلك كثيرة

نعرفها ونسلم بها لكننا لا نسلم مطلقاً بان المعاني تتغير بتغير الالفاظ او لا يمكن نقلها بالترجمة . ولو سلمنا ذلك لما تلقينا علوم اليونان والفرس والافرنج وروينا انظارهم فيها كما هي بل لما روينا كثيراً من معاني الامم الاخرى الشعرية وحلّينا بها فصاحاتنا . هذا علي ابن العباس بن جُريج المعروف بابن الرومي كان ينقل كثيراً من معانيهِ عن (لُقريس) شاعر الرومان . قال لقريس مما يدلُّ على ان الدنيا دار شقاء لا دار سعادة ان الطفل يبكي عند ولادتهِ ولا يضحك فاخذ هذا المعنى ابن الرومي وقال

لما تؤذن الدنيا بهِ من صروفها يكون بكاء الطفل ساعةَ يولدُ
والاَّ فما يبكيهِ منها وانها لأوسع مما كان فيهِ وارغدُ

وكذلك ابو الطيب المتنبي نقل كثيراً من معانيهِ عن ارسطاطاليس حتى ألَّف في ذلك الحاتمي رسالة مخصوصة . وكان (جاتي) اكبر شعراء جرمانيا كثيراً ما ينقل المعاني عن الفرس في شعرهِ حتى انهُ سمى كتاب اشعارهِ (الديوان) . ولو نقلنا الى اي لسان مثل قول سماحة السيد البكري في نابوليون " حتى زالت دولتهُ الشامخة . فغابت مغيب الشمس في كفن من الدماء . ثم استرجعها حفيدهُ بعد الذهاب . وحفظ من نور ذلك المجد بقدر ما يحفظ القمر نور الشمس بعد الغياب " لعُدَّ ذلك فيهِ آية من آيات البلاغة والبيان

وهكذا شعراء الامم تنقل المعاني بعضها عن بعض وتزيد بها خزائن السنتها والمعاني هي هي لا تتغير ولا تتبدل كالشخص الواحد يكتسي حللاً مختلفة او الماء يتناول بآنية شتى من لجين وعسجد وخزف وهو هو . نعم ربما ان بعض الاستعارات المعنوية والكنايات ونحوها لا تُحمل في النقل من لسان الى لسان ولكن هذا شيءٌ يسير لا يبنى عليهِ حكم ولا قياس

واذا تبين ما تقدم يكون ما عرَّبنا لنا ونشرناهُ قد سقط فيهِ بالترجمة الركن الاول من اركان البلاغة وهو اللفظ . اما الركن الثاني وهو المعنى الذي هو اهم الاركان فقد سقط فيهِ من نفسهِ اذ تحاولة تجسين تلك المعاني السخيفة في الاذهان غير مقبولة عند اهل الادب والبيان

هذا على اننا لم نجزم في مقالتنا الاولى بان كلام الافرنج خالٍ عن البلاغة والمعاني الشعرية العالية بل قلنا ان ما ترجم لنا ليس فيهِ شيءٌ من ذلك ورغبنا الى العالمين بالسنتهم ان ينقلوا الينا ما عندهم من العلوم الادبية كما نقلوا الينا علومهم الطبيعية . اما المطلعون على السنتهم من الراسخين في علم الفصاحة فقد جزموا بان ليس للقوم حظ من ذلك

قال الاستاذ احمد افندي فارس صاحب الجوائب في الكشف ما نصهُ " ومن ذلك انهم يتكرون على اهل اللغات الشرقية وخصوصاً اللغة العربية كثرة الاستعارات والكنايات مع

ان لغتهم تطفح بها طفحاً ولولاها لضاقت بهم العبارة عن تأدية اكثر المعاني وسيأتي الكلام على ذلك بالتفصيل وانما اقول هنا اني لما اردت ان اترجم من قصيدتي التي مدحت بها الامبراطور نابوليون قولي

ولا تحال وقت تو أمي عدة لهُ وانجازها بل قلما سئلا

قال المصحح ان ذلك لا يكون مفهوماً بلغتهم ولو جاء بهذه الاستعارة أحد مؤلفيهم لحسبت من البلاغة بمكان ومن طبعهم في التأليف والكلام ان ينتقوا الالفاظ الجزلة الفخمة يكسون بها سخيف المعاني فتسمع منهم جعجعة ولا ترى طحناً وهذا داءٌ فاشٍ فيهم أجمعين "

الجواب عن المسألة الثانية وهي كون شعر العرب محدوداً في ابواب مخصوصة وانهُ بعيد عن الطبع — ان الشعر هو تصوير ناطق كما ان التصوير شعر صامت وكما ان بعض المصورين يختص بنوع مخصوص من الصور كالحروب او الرياض او نحوها وبعضهم يتناول كل شيء كان العرب ممن اختص بتصوير بعض مناظر الوجود دون البعض الا أنهم أبدعوا في تصويرها باشكال مختلفة بحيث بلغوا من ذلك مبلغاً ليس وراءهُ مطلع لناظر ولا مجال لفكر . فلا جرم أن كانت القصيدة الواحدة العربية في المديح او الرثاء او الغزل او الوصف تفضل مائة قصيدة محدثة في انواع مختلفة لان الاجادة في باب الفصاحة مقدمة على الاجادة في تنوع المواضيع وتخيل الاشكال المختلفة . ولو استوفى الافرنج اركان البلاغة كما قدمنا ثم تنوعوا في المواضيع كما تنوعوا لكان لهم القدح المعلى في البيان . ولكننا لا نخالهم فعلوا ذلك والكلام خلو من هذه الاركان جعجعة ولا طحن . هذه الناقة وهي ركوب العرب قد أبدعوا فيها من الاوصاف والمعاني ما لا يعدُّ كثرة على اننا ما سمعنا الآن معنى شريفاً للافرنج في الوابور مثلاً . اما الطبيعة فلا شيء أقرب اليها وانسب لها من العرب في حالهم ومقالهم كما قال ابو الطيب

ما اوجه الحضر المستحسنات بهِ كاوجه البدويات الرعابيبِ
حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوبِ
أفدي ظباء فلاة ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صيغ الحواجيبِ

وهكذا كل شعر لهم في الجاهلية والاسلام يذوب رقة وطبعاً كما قال ابو الطيب ايضاً

أبلغ ما يطلب النجاح بهِ التـ طيع وعند التعمق الزللُ

نعم انهُ وجد في بعض المتأخرين من الشعراء والكتاب في اوائل القرن التاسع الهجري وما بعدهُ قوم خرجوا عن الطبع في الكلام والتزموا الصنعة والجناس والتورية والحذلقة الا

ان هؤلاء مرذولون حيثما كانوا ولو رآهم العرب الاولى لكانوا اول المنكرين عليهم النافرين منهم . ولعمري اني قرأت عشرين رومانًا فلم أرَ فيها من مناجاة المحبين ما هو أقرب الى الطبع من مثل قول ابي الطيب

إلامَ طماعيةُ العاذلِ ... ولا رأيَ في الحب للعاقلِ
يزاد من القلب نسيانكم ... وتأبى الطباعُ على الناقلِ
واني لاعشقُ من عشقكم ... نحولي وكل امريء ناحلِ
ولو زلتمُ ثم لم ابكِكم ... بكيتُ على حبيَ الزائلِ
ابنكر خدي دموعي وقد ... جرت منهُ في مسلكٍ سائلِ
أأول دمع جرى فوقهُ ... وأول حزن على راحلِ
وهبتُ السلوَّ لمن لامني ... وبتُّ من الشوق في شاغلِ
كأن الجفون على مقلتي ... ثيابٌ شُقِقنَ على ثاكلِ

بقي الكلام على السجع والمرسل وبديهي ان المرسل هو الطبع والسجع هو التكلف غير ان هذا انما هو في قص الوقائع وحكايات الاحوال ونحوها اما في تصوير الشيء ووصف الموضوع المخصوص بالاسلوب الشعري فلا بأس بالسجع وانما يكون في هذه الحالة ضربًا من شعر الافرنج الذي لكل شطرين منهُ قافية وربما كانت القوافي اذن مما يزيد المقال رونقًا وبهاء

وبالجملة فان شعر العرب مطبوع غير متكلف متصنع وان دائرتهُ لاتزال تزيد على مر السنين فقد وسعها المخضرمون عن الجاهلية والاسلاميون عنهما وتعدت الواحهم بصور الوجود الحسي والمعنوي ونرى المجددين لهذا الشأن الآن من ايمة الفصاحة والبيان يتناولون ببلاغتهم ما فات الاولين حتى تسع دائرة الفصاحة العربية وتتبحبح رحابها

وهنا نورد رسالة من كتاب (صهاريج اللؤلؤ) لصاحب السماحة والسيادة السيد البكري في نعت الوابور والبالو وكلاهما من الامور المحدثة وها هي

سلامي على السيد الجليل ادامهُ الله وابقاهُ ما رسا ثهلان[1] واضاء النيران . وبعد فان لي قصة . فيها لكل اديب حصة . واني لاسوقها اليهِ . واتلو اساطيرها عليهِ . ذلكم اني أزمعت السفر . هلال صفر . من القاهرة المعزية . الى الاسكندرية . حيث البلد حاضر باد . والنصب والنون والملاَّح والحاد . ورماتيق وسواد . وقصور في شرفات من سندادٍ . وبحر خضم . ويم طم . وملاعب كواعب اتراب . ومغاني قيان عراب . فاعرَوْرَيت ظهر قعود ذي

(١) ثهلان اسم جبل

تُدْرَأ . لا يرد المياه ولا يرعى الكلأ[١] أَلِفُهُ النجار من شطب . واعواد وخُشُب . يقودهُ هزج[٢] اسحم . يحك ذراعهُ بذراعهِ فعل المكب على الزناد الاجزم[٣] كأنهُ حرف جار . او مبتدأ متعدد الاخبار . غراب البين ان نعب . وغدير الوادي ان سرب . ينساب في القيعان والكثبان . كأنهُ أفعوان . لهُ عينان حمراوان . ويجزع الشعاب والهضاب . ويطوي الارض طي السجل للكتاب . اين منهُ عيرانة[٤] وجناء . مضبورة قرواء موَّارة كوماء . كأنها قصر . او بنية عقر . تراوح على الحافر والأنساء . بذي خُصَل كفضل رداء[٥] . حرف في السراب كالنون[٦] تنظر بعيني مجنون . عُذافرة علاة . كانما رعاها مالك ابن زيد مناة . في ظهر كقنطرة الرومي . وخد كقرطاس الشآمي . ومشفر كالسبت اليماني بل أين منهُ أعوجي[٧] حميم . صافن كوميم . أغر محجل . كالهيكل المبني او صورة في هيكل . في أذن كخوصة العسيب . وغرة في موضع التقطيب . كما قلت

جواد لهُ من اربع الريح اربع قوائم خلناها كبعض القوادم
فلو سابقتهُ الشمس ما بين مشرق لغرب لكان الطرف اول قادم

بل اين منهُ الريح النكباء . والشمأل والجربياء . شتان شتان . وأنى يتساويان . وما زال هذا الطائر الميمون . يجوب السهول والحزون . يقطع ميتاً بعد ميت . في سير حثيث . ليس بالوخدان ولا الزميل . ولا التهويد ولا التطفيل[٨] . ويجوس في مزارع وزرداقات . كرقوش الحيات . وارض عذاة خضراء . بعيدة عن الاحساء . شجيرها القطن والكتان . لا العرعر والظيان . فيها طلح منضود . في ظل ممدود . ونخيل مواقير بالقنو . من الازاز والبرني . قد اخذت زُخاريها او داؤها . وتزيَّنت بزينتها ارجاؤها . فلا ترى الا عيوناً تنفح . واطياراً تصدح .

---

(١) يقول ركبت بعيراً لا يرد الماء ولا يرعى بر مد بذلك الوابور

(٢) هزج اي اله صوت . واسحم اي اسود قال عنترة يصف الذباب

هزج يحك ذراعهُ بذراعهِ فعل المكب على الزناد الاجزم

فشبه هنا الوابور الجار للعربات بذلك تحرك ذراعيهِ في سيره

(٤) العيرانة الناقة . اخذ يشبه الوابور باشياء مختلفة معروفة بسرعة السير كالناقة والفرس والريح ثم انهُ عند تشبيهه بكل واحد من هذه الاشياء يصف ذلك الشيء بجميع نعوته ويصورهُ بسائر حالاته

(٥) يصف ذنب الناقة وهي تضرب به على افخاذها برداء مسدول لكبره والنوق تمدح بذلك

(٦) الحرف الناقة . والنون الحوت والحرف المعروف . فهو يقول بانها كحرف النون لضمرها من الدبر وبوبرها ايضاً بانها في السراب كالحوت في الماء

(٧) الاعوجي الفرس المنسوب الى اعوج وهو فرس مشهور . وقد اخذ يشبه الوابور بالفرس

(٨) هذه ضروب من سير الابل

وقُرَيّات بيض في رياض خضر كاشرعة الفُلك في لج البحر. حتى وصلنا الاسكندرية في عشية ضاحية عَرِية. فسرنا الى (صان استيفان). فاذا قصر عمدان أو خورنق النعمان. منزل كانهُ منزلة من منازل القمر. وبيت ظهر فيهِ الحسن فكانهُ بيت شعر او بيت شَعَر

والحسن يظهر في شيئين رونقهُ بيت من الشعر او بيت من الشَعَر

تحف بهِ روضة غناء. تضحك من ازهارها بالحمراء والصفراء. كانها بساط اجادتهُ يَدُ صناع. او بُرد يَمَني بالغت في حوكهِ الصنّاع. وامامهُ بركة من ماء البحر. كانها مرآة ينظر وجههُ فيها البدر. اذا تجلّى القمر في ارجائها. حسبتهُ قلبًا خافقًا بين أحشائها. وما كاد يستقرُّ بنا القرار. ونزيل وعثاء الاسفار. حتى قيل ان (البال) سيكون الليلة في هذه الدار فهششنا لهذا النبإ. هشاش الرّائد صادف قرن الكلإ. ثم لبثنا حتى اذا تغضفت الظلماء. ولمعت نجوم السماء. أُخذنا الى قاعة روحاء. عليها قبة جوفاء. فيها من كل زُخرف ورُواء. ونضائد مفروشة. وزرابي مبثوثة وأرائك منقوشة. وحُسبانات ونواويس. كاجنحة الطواويس. وبنود تخفق. وتهاويل تبرق. وطاقات الزهر والريحان. كاقواس السماء في الالوان. ومصابيح كالاثمار في الاغصان. تأتلق في الارجاء. كالدرر والفرقدين والجوزاء. واذا رأيت ثمّ رأيت الرّعابيب الحسان. كانهنّ اللؤلؤ والمرجان. من كل بيضاء جيداء. مخندداة ذات الماء. شموع عيناء. فينانة رقراقة. أملود برّاقة

اذا خطرت تأرّج جانباها كما خطرت على الروض القبولُ
ويحسن دلها والموت فيهِ وقد يحسن السيف الصقيلُ
يقوّم من ثنيها اعتدالٌ يكاد يقالُ من هيف نحولُ

غران غيد. خُرّد اماليد. في صدور كالمرمر. تزهو باللؤلؤ وتبهر. كانها الاغريض. او صدور الرّاة البيض. واكتاد عارية. ونحور حالية. ومعاصم غضّة بضة. كانها شماريخ الفضة. وشعر كسلوك الذهب. يتقد فيهِ الجوهر القاد اللهب. ووجوه كالدنانير. واوساط كاوساط الزّنابير. وثغور هي اللؤلؤ الرطب. ولحاظ هي الاسهم ريشها الهدب. ومعاطف تكاد لرقتها يترك الوشي فيها شكلهُ. ويرسم على ديباجها مثلهُ. وفوق ذلك حلي وسواس. كانهُ ابليس وسوس في صدور الناس. وحلل من استبرق وديباج. ودمقسي وهاج. وقد تعلق الورد بالاردان. كافا تفتح على الاغصان

لبسن الوشي لا متجملات ولكن كي يصُنّ بهِ الجمالا

وهنالك فتيان. كانهم الولدان. في زي الحضارة. والزّينية والشّارة. ومَيعة الشباب.

وأولق الصبا والتصاب . يشون بينهنّ مشي القطا الكدري . في الدّمث الندي . قد حاز كل فتىً لديهِ غادة . كواسطة القلادة . خريدة ممطال . كانها خشف غزالـــ . ثم ترعرعت الالحان . فترنحت الاغصان . وصارت الايدي مناطق للخصور . وسواعد للظهور . ورصعت الاقدام . كانها تسير في وعر . وانتفضت الاجسام . كما انتفض العصفور بلله القطر

وكل غصن بغصن صار معتنقاً مصرة كاعتناق اللام للالف

وجرّت ذيولهنّ الغادات . كانهنّ ذوات الاذناب من الكواكب العلويات . يرسمن الدوائر في أفلاك السموات

ترى حركاتهنّ بلا سكون فتحسبها خلفتهـا سكونا
كسير الشمس ليس بمستقر وليس بمكن ان يستبينا

ثم سكنت الانغام برهة ففتحت الابواب عن رواق فسيح الجناب فيهِ مهاط يشغل القلم والعين . فيهِ الفاكهة زوجين زوجين . وقطع من نون . ولحم طير مما يشتهون . وطلع واعناب . وصلائق وسبائك وصناب . وقد رصفت فيهِ القوارير والدنان . والاباريق والصيعان . تلمع فيها الخرطوم السلسبيل . والمشمشعة القنديل[٩] . عقار . ان وافت المرء همّ ان ينفث الاسرار . فتعقد اللسان . للكتمان . وان نهل منها وعلّ . خال جسمهُ قرية من قُرَى النمل . لا تزيل الاشجان . عن الجنان . وانما تزيد ما فيهِ من حزن او سراء . فهي منظار بكبر الاشياء . فهرع القوم يطعمون الطعام . ويحسون المدام . الى ان خفّت الاحلام . ونشطت القدود . وانتقل خمر القناني الى الخدود . ثم صدحت الالحان . وعاد الشان كما كان . فدارت هذه الكواكب في افلاكها . وانتظمت كالدراري في اسلاكها . تنأى وتقرب . وتشرق وتغرب . وهكذا حتى لاح . وجه الصباح . واشرق نور ذكاء[١٠] . فتوارت كواكب الارض والسماء

متوسط العمر

بحث المستر تيلر في مجلة الفورم عن متوسط ما يعيشهُ الناس بحسب اختلاف صناعاتهم فوجد ان متوسط عمر

٣٨ مؤرخاً	٧٣ سنة	و ١١٢ سياسياً	٧١ سنة	و ٣٩ مصوراً	٦٦ سنة
و٥٨ عالماً ومخترعاً	٧٢ «	و ٤٠ مؤلفاً	٦٧ «	و ٣٠ موسيقياً	٦٢ «
و٤٨ قائداً	٧١ «	و ٦٦ فيلسوفاً	٦٥ «	و ٤٦ شاعراً	٦٦ «

(٩) اي الخمر (١٠) ذكاء علم للشمس